في شهر التراث العالمي

متحف زبانة يكرم
من الكاريكاتير إلى فن الرسم
رحلة حياة

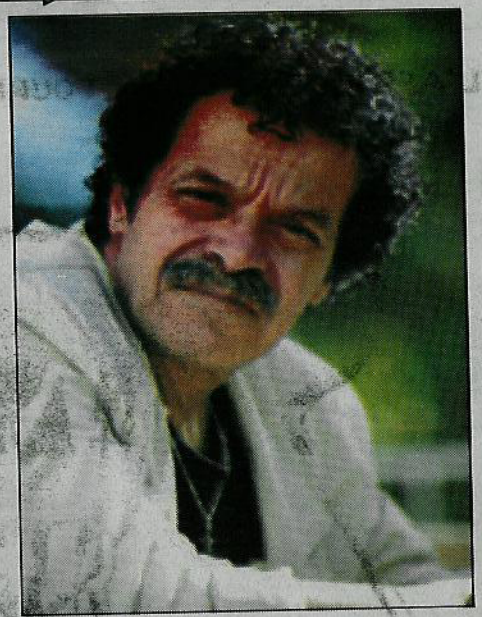

«لاحظ أستاذه لمادة الرسم التقني، وهو متعاون فرنسي، موهبته في الرسم، فكان يشجعه على المضي قدما في هذا النهج، نصحه بإرسال رسومه ليومية La Republique»

بمناسبة الاحتفال بشهر التراث العالمي، سطر المتحف الوطني أحمد زبانة سلسلة من النشاطات والفعاليات تندرج ضمن شعار «تكريم الفنان الجزائري» وسيحتضن هذا الملتقى الفني معرضا لأعمال رسام الكاريكاتور الشهير «طيب أعراب» الذي ترك بصماته راسخة في مسار فن الرسم

ولد طيب عراب في 14 أفريل 1947 بوهران، وترعرع في أسرة متواضعة مثله مثل غالبية الجزائريين أنذاك. وقضى طفولته في السانية حيث زاول دراسته الابتدائية ثم وجه إلى متقنة حي سافينيون التي حصل فيها على شهادة الكفاءة المهنية في الكهرباء العامة.

بدأ عراب يرسم منذ نعومة أظافره، وكان والداه لا ينظران بعين الرضا لإتلاف أقلامه وكراريسه دون فائدة. ولتلافي توبيخهما، كان يجمع قطع الورق المقوى من أكياس القمامة . وكان يرسم في كل مكان، على أسوار السانية وهو محاط بزملائه من الحي. وفي معهد التعليم التقني سافينيان لوهران، أين كان يقوم بتزيين جدران النادي بجداريات كبيرة زاهية الألوان تمثل شخصيات الرسومات الكاريكاتورية المشهورة آنذاك. بلغ شغفه بالرسوم المتحركة درجة جعلته يلجأ إلى الجلوس أمام قاعات السينما لتأجير كتبها القديمة للرسوم المتحركة لأبناء الحي ليقرأوها في عين المكان، وذلك كي يستطيع شراء كتب جديدة للرسوم المتحركة.

لاحظ أستاذه لمادة الرسم التقني، وهو متعاون فرنسي، موهبته في الرسم، فكان يشجعه عليالمضي قدما في هذا النهج. نصحه بإرسال رسومه ليومية «La Republique» التي حلت محل جريدة صدى وهران أنذاك. لكن عراب كان مهتما بانشغالات أخرى، فعندما غادر معهد التعليم التقني في سنة 1963، بعد حصوله على شهادة الكفاءة المهنية، كان عمره ستة عشرة عاما، وكان أبوه عاطلا عن العمل، ذلك أن معمل الأسمنت قد أغلق أبوابه مباشرة بعد الاستقلال ولم يجد عملا آخر. وتحمل عراب مبكرا وهو لا يزال يافعا، ثقل المسؤولية التي كان عليه أن يواجهها، خاصة بعد أن تزايدت الديون على أسرته ، وكان ينبغي عليه دفع ثمن الكراء والكهرباء وإعالة كل أفراد الأسرة.

للحلم بجميع الأحلام الممكنة، حيث يقدم كل واحد ما في استطاعته لهذه الجزائر الجديدة كان عراب محاطا برجال موهوبين، لذلك فقد انضم بسرعة لهذه الفئة من المثقفين المناضلين.

كون مع جمعي عبد القادر طيلة سنوات عديدة ثنائية جهنمية على الصفحات الثقافية للجريدة.

فقد كان الأول يكتب والثاني يرسم وفي وقت لا حق، أصبح كاتب ياسين ومحمد إسياخم اللذين جمعهما بشير رزوف، أصدقاء لعراب الذي صار في وقت قصير أستاذ الكاريكاتير السياسي الجزائري بدون منازع نشر في أقل من عشر سنين أكثر من 7000 رسم وكاريكاتير في هذه الجريدة التي كانت آنذاك الجريدة الجزائرية الناطقة بالفرنسية الأولى ذات التوزيع الوطني.

وكان ينتمي لهذه الفئة من المثقفين اليساريين الذين يناضلون من أجل الثقافة.

كان عراب يساند كفاح العمال والفلاحين، ومصاحبا للوعي السياسي للطلبة الذين كانت رسوماته تساهم في تكوينهم، كما يشهد على ذلك الأستاذ عبد القادر عبد الإله كان شغوفا بالمسرح الهاوي والاحترافي على حد سواء، فهو مناصر متحمس للمسرح ويتقاسم بكثير من الابتهاج أشياء كثيرة مع المولعين به من أمثال كاتب ياسين وعلولة وكاكي ساهمت الثقافة السينمائية التي اكتسبها بارتياده المنتظم لسينماتك وهران، في شحذ نظرته وفي هذا اليسر والسلاسة التي تطبع رسومه المتعلقة بالسينما العالمية والسينما الجزائرية شارك في الدعاية للثورة الزراعية وترقيتها وأنجز مع فنانين آخرين، جداريات جماعية مستوحاة من الواقعية الاشتراكية لسيكييروس ورفيرا، في قرى الثورة الزراعية.

ناضل كذلك من أجل الدفاع عن الفن التشكيلي، ونظم بوهران معارض جماعية مع حنكور وزروقي، وساعد العديد من الفنانين الشباب.

كان ينتج فيه من 5 إلى 6 رسومات في اليوم الواحد، صار لا ينتج أكثر من 4 إلى 5 رسومات في الأسبوع، وأحيانا يبقى مدة طويلة دون أن يرسم وفي هذه الصائفة وفي مدينة مستغانم بالذات، خلال مهرجان مسرح الهواة، التقى تلك التي ستصبح زوجته، فغادر وهران دون سابق إنذار، ليستقر في بومرداس بضواحي الجزائر وقرر أن يرسم، وبدأ في عمل بحثي في الوقت الذي كان يتعاون فيه مع الجزائر الأحداث و الثورة الإفريقية لكن هذا التعاون لم يستمر سوى ثمانية أشهر.

التقى من جديد، صديقه محمد إسياخم في الجزائر الأحداث ،وصار يقضي معه سهرة كل خميس، بعد الاجتماع الأسبوعي لهيئة التحرير، في الفيلا التي يملكها في الكورنيش استعاد معه ذكريات وعاد إلى بعض ذلك الجو الذي فقده منذ اختفاء «La Republique» تيقن عراب أن حياة جديدة قد بدأت بالنسبة إليه، وإن كان يحن للماضي، فلأول مرة في حياته يشعر بأن لديه متسعا من الوقت وحياة شخصية ورفيقة درب يقاسمها الشغف للفنون والآداب والأفكار.

وفي صائفة 1979 ، وعلى إثر عطلة قضاها بفرنسا، انعزل في شقته الواقعة في الطابق الثالث من عمارة تقع قرب خزان الماء ببومرداس، وراح يرسم لنفسه، ويطلق العنان لمكبوتاته على الورق الأبيض ثم يتلف رسوماته كما العازف على البيانو يؤدي مقامات، قبل قضائه ساعات كاملة أمام لوح الرسم ومضى يرسم دون أن يتعب ودن أن يرضيه أي من رسوماته كان يبحث عن نفسه ويتلف لوحاته بمجرد الانتهاء منها سلم بعضها من الإتلاف ولم يبق اليوم من هذه الفترة شبه الكلاسيكية من أعماله سوى «النقابي» و «بائع الشمة الصغير» و «الشيخ لاعب البانجو» و «العجوز حاملة مسرج الخزان» وعند دخوله من العطلة في شهر سبتمبر، يلزم شقته ولا يخرج منها إلا في شهر جوان للذهاب إلى